مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد01 بتاريخ 15 جانفي 2020م
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التفسير اللغوي ومناهجه عند أهل الرأي

مجاز القرآن أنموذجا

Interpretation of language and its methods when people of opinion. The Qur'an is a model

د. معمر شباب[1]

D.maamar chebab

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر

University of Abi Bakr Belkaid Tlemcen

maa.chebab@gmail.com

تاريخ الاستلام:2019/06/29م تاريخ القبول:2019/11/18م

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار أثر اللغة وعلومها في تفسير القرآن الكريم، حيث نشأ علم النحو في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث، ونضجت هذه العلوم على أيدي الرواد أمثال أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والفراهيدي وغيرهم وكان الغرض الأسمى من تأصيل هذه العلوم وتقعيدها، خدمة القرآن الكريم وصيانة له من اللحن، وكان أشهر هؤلاء العلماء أبو عبيدة معمر بن المثنى " من خلال كتاب مجاز القرآن

الكلمات المفتاحية: التفسير اللغوي، مجاز القرآن،القياس، التعليل، أبو عبيدة

[1] المؤلف المرسل د. معمر شباب maa.chebab@gmail.com

Abstract

This study aims to show the effect of language and its sciences on the interpretation of the Holy Qur'an, where grammar science originated in the late second century AH and early third century, and these sciences matured at the hands of pioneers such as Abi Amr bin Al-Ala, Younis bin Habib, Al-Farahidi and others and the supreme purpose of rooting this was Science and its restriction, the service of the Holy Qur'an and its maintenance from the melody, and the most famous of these scholars was Abu Ubaidah Muammar bin Al-Muthanna "through the book of the metaphor of the Qur'an

Keys words : Interpretation of language, metaphor of the Koran, measurement . Abu ubaidah muammar bin al muthanna

مقدمة:

من سنة الله في خلقه أن يرسل الرسول بلسان قومه وينزل عليهم الكتاب بلسانهم ليفهموا عن الله تعالى خطابهم ومراده، فيؤمنوا به ويصدقونه، ولما كان الأمر كذلك، كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقوها في معرفة كلام الله تعالى وكان من أهم ما فيها معرفة دلالات الكلام يدور عليها كثير من علم التفسير ليعرف مراد بالخطاب، كما احتل منزلة من أرفع المنازل عند المفسرين منذ القديم، فقد وضع الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه الحجر الأساسي لهذا الاتجاه وترك إشارات في البحث اللغوي، ثم طور العلماء هذا البناء في العصور المتلاحقة.

ولما كان الأمر في هذا المصدر المؤثر في التفسير عمدت إلى دراسة هذا الجزء من هذا الموضوع الشاق الشيق الطويل فستلبت منه طرفا رأيت أنه جدير بالبحث والدراسة ألا وهو :" **التفسير اللغوي ومناهجه عند أهل الرأي مجاز القرآن أنموذجا"**

تتعلق هذه الدراسة بدراسة كتاب من كتب التفسير اللغوي، **"مجاز القرآن"** لأبي عبيدة معمر بن المثنى، واقصد به هذا النوع من التفسير الذي استخدم كل علوم اللغة التي توصل إليها المسلمون، وليس فرعا بعينه، ذلك أن التفسير اللغوي قد أفاد من كل ما قدمته العقلية الإسلامية في هذا الباب، تعلق ذلك باللفظ أو بالتركيب وسخره جميعه في التأويل الدلالي للنص القرآني.

أولا: نشأة التفسير بالرأي

يطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس ومنه أصحاب الرأي أصحاب القياس، والمراد بالرأي هنا الاجتهاد وعليه "فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفة للألفاظ العربية ووجوه دلالتها وعليه نعد أقوال عبد الله بن عباس في تفسيره للقرآن الكريم بداية التفسير بالرأي "بالاستشهاد على معاني كلمات القرآن الكريم بالشعر العربي وعده الشعر ديوان العرب"(**القرطبي ، 1967م ، ج1 ص24**). لأنه أدرك أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب واستخدم أساليبها وطرائقها في كلام، إضافة إلى ذلك قام بتحديد أصول كلمات القرآن وردها إليها كما رأينا، وهذان العملان يعدان عملا متقدما، خاصة أن الناس في ذلك الوقت كانوا يكتفون بالتفاسير الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، كما أنهما "يعدان حجر الأساس الذي قام عليه التفسير العقلي النحوي فيما بعد، لأنه لفت النظر إلى وجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم، كما يرجع إليه الفضل في رد بعض القراءات إلى اللهجات المختلفة، وقد بدأ من تلك الفترة الاحتجاج للقراءات، وهي عنصر مهم من عناصر التفسير بالرأي وقد اعتمد ذلك على القياس وحمل الواحدة على الأخرى لمشابهة بينهما في اللفظ أو البنية" (**القرطبي، 1967م ، ج1 ص24**)

فهذا ابن عباس يحتج لقراءته لقوله تعالى: "﴿**ننشرها**﴾ بالنون المفتوحة والراء من قوله تعالى: ﴿ **وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا** ﴾ [البقرة:259] قياسا على قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ**﴾ [عبس:22] ، وعاصم الجحدري يقرأ قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:04] بدون ألف في "مالك" ويحتج عن

من قرأها "مالك" بالألف، فيقول: يلزمه أن يقرأ ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ**﴾ [الناس:1-2] " (**ابن جني, 1999،ص 215**).

كما كان اللحن في القرآن الكريم داعيا أوليا عند المسلمين لإقامة قواعد تضبط النطق، وهذا يدل على تفطن المسلمين في ذلك الوقت إلى اختلاف المعنى باختلاف المعنى النحوي، ولكن ذلك لم يظهر في تفاسيرهم كما رأينا عند ابن عباس "وكذلك في الفترة الممتدة من ابن عباس حتى ظهور التعليل في النحو على يدي عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر" (**العشبي، 1999، ص161**). وعليه نقول إن التفسير بالرأي بمعناه الفني لم يعرف خلال النصف الأول من القرن الهجري ولكن هناك من الإشارات يمكن عدها البداية الحقيقية لنشأته وهي:

ثانيا: نشأة القياس والتعليل عند اللغويين.

لقد أجمعت المصادر على أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117) أول من بعج بالنحو ومد القياس والعلل (**الجمحي، 1980،ج1،ص14**) .، إذ قام بقياس الظواهر اللغوية والنحوية الواحدة على الأخرى كما أنه قام بتعليل تلك الظواهر اعتمادا على القواعد النحوية التي وضعها النحاة، فجنح إلى القول بالحذف والتقديم وغير ذلك فقد أجاز قول الشاعر:

إلى الشَّرّ دُعَاءُ وللشَّرِ جَالبُ إيَّاك إيّاك المِراء فَإنَّهُ

كأنه قال: إياك، ثم أضمر بعد إياك فعلاً آخر فقال: اتق المراء (**سيبويه، 1991م، ج،1 ص279**).

وقد كان ابن أبي إسحاق يتبع الفرزدق الشاعر، ويخطئه في شعره ناظرا إلى القياس النحوي.

روي أبو عمرو بن العلاء أن ابن أبي إسحاق سمع الفرزدق ينشد:

مِنَ العيش إلاَّ مُسْحَتًا أَوْ مُجَلفُ وعضُّ زَمَانِ بابن مروان لَمْ يَدَعْ

فاستنكر الرفع في "مجلف" لأنه يرى أن القياس فيها العطف على "مسحتا" المنصوب.

واستحسنه أبو عمرو بن العلاء (ت 159هـ) ذاهبا إلى أن الرفع على المعنى أي لم يبق سواه (**سيبويه،1991ج1 ص398**)..

وقد حمل تلميذه "عيسى بن عمر" (ت149هـ) (**ابن النديم ،ج1، ص"196**) لواء القياس والتعليل فتوسع في تقدير العوامل المحذوفة، مثل ما رواه عنه سيبويه من قوله: "ادخلوا الأولُ فالأولُ" على تقدير ليدخل الأول فالأول فحمله على المعنى (**ابن النديم، ج1 ص364**).

وقد روى عنه أنه كان هو ابن أبي إسحاق يقرآن قوله تعالى: ﴿**يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الأنعام:27] بالنصب في "نكذب" و "نكون" خلافا للجمهور الذي يقرأهما بالرفع وقد أوّل النحاة ذلك بأن النصب في "نكذب" و"نكون" على جواب التمني، فعومل ما بعد الواو كمعاملة ما بعد الفاء.

"وقيل إن النصب فيهما على الجواب **بالواو**، لأن العرب تجيب "**بالواو**" و "**ثم**"، كما تجيب "**بالفاء**"، فيقولون ليت لي مالا فأعطيك وليت لي مالا وأعطيك وثم أعطيك، وقيل إن النصب على الصرف كقول القائل: لا يسعني شيء ويعجز عنك" (**الطبري، ج7 ص111**).

وقد استنكر الطبري قراءة النصب بحجة أن الرفع أحسن على الخبري لا على التمني، بمعنى يا ليتنا نُرد ولسنا نكذبُ بآيات ربنا إن رددنا ولكنا نكون من المومنين ... لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم نرد لو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه، وأنهم كذبوا في قبلهم ذلك ولو كان قيل هم ذلك على وجه التمني لاستحالة تكذيبهم فيه لأن التمني لا يكذب" (**الطبري،ج7 ص112**).

وقرأ عيسى بن عمر (ت149هـ) قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ**﴾ [النور:2] ، بالنصب على إضمار فعل تقديره: اجلدوا الزانية والزاني فاجلدوا.

وكذا قرأ بالنصب قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة:38] ، خلافا للجمهور الذي قرأ كل ذلك بالرفع على أنهما مبتدآن والخبر فاقطعوا وفاجلدوا.

"أما النصب هو الأقيس عند سيبويه فعلى "الاشتغال"(**(شرح بن عقيل، ج1 ص517)** بتقدير فعل اجلدوا الزانية والزاني– واقطعوا السارق والسارقة فاقطعوا، لأن الوجه في الأمر والنهي النصب، لأن حد الكلام تقدير الفعل ... وإنما قلت: زيدا أضربه، واضربه مشغولة بالهاء لأن الأمر والنهي لا يكونان إلا بالفعل، فلا يستغني عن الإضمار إن لم يظهر" **(سيبويه ، ج1 ص143)**.

وقد كان عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء يقرآن قوله تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾ [سبأ:10] بالنصب ويختلفان في التأويل، فكان عيسى بن عمر يرى أن النصب على النداء، كقولك: يا زيد والحارث، لما لم يمكنه: يا زيد يا حارث، أما أبو عمرو بن العلاء فيرفض ذلك فيرى أنه لو كان ذلك لكانت الطير مرفوعة، ولذا فهو يرى أن النصب على إضمار فعل، تقديره" وسخرنا الطير، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ**﴾ [النساء:81] بالنصب أي سخرنا لسليمان الريح، وكأنه يرفض عطف الطير على موضع الجبال لما لم يمكن نداء ما فيه أل ، **(العكبري، ج2، ص486)**

إن اختيار عيسى بن عمر النصب في القراءات القرآنية التي تأول بتقدير محذوف ونزعه إلى النصب إذا اختلفت العرب "يمكن أن يرد إلى سيطرة العلة النحوية على عقله كما يمكن أن يرد إلى أنه ينزع إلى الجمل الفعلية التي تتسم بالحُدُوثِ والتجديد، بعكس الجمل الاسمية التي تتسم بالثبوت والدوام لأن عيسى بن عمر يريد أن يقول: إن المعاني في الآيات التي اختار النصب فيها على التجدد والحدوث دائما وأبدا"(**العشبي، 1999 ، ص171)**.

وقد فرق سيبويه بين الرفع والنصب في قوله: "فإذا رفعت فالذي في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت" **(سيبويه،1991ج1 ص282)**

ويقول "السيرافي"شارحا كلام سيبويه: "يعني أنك إذا رفعت فالذي أضمرت مبتدأ والذي ظهر فهو خبره، والمبتدأ هو الخبر.

وإذا نصبت فالذي أضمرت فعل والفعل غير الاسم" (**سيبويه، 1991، ج1،ص271**). وعليه فإن عيسى بن عمر عندما ينزع إلى النصب يدرك تماما أنه يضمر شيئا غير الاسم المنصوب الذي ذكر، فهذا يدل على أن اللغويين برجوعهم إلى هذه الدراسة دلالة على ما تزخر به اللغة من تراكيب "تعتبر ظاهرة القياس في اللغة العربية أهم عامل مساعد على حفظ طبيعة بناء الجمل لدى الناطقين على مر العصور، كما يعتبر النص القرآني بما حفظه على مر القرون من أنماط تعبيرية أكثر حافظ للغة بما فيها من ضوابط تركيبية تسهل على المبدعين إبقاء الصلة قوية بينهم وبين الأشكال التعبيرية الأصلية للغة" (**قلايلية العربي، 2001م، ص42**).

ثالثا :الخلاف بين مدرسة البصرة والكوفة

يمكن أن يضاف إلى العوامل التي غدت التفسير بالرأي ودفعت به إلى الأمام، هو نشأة الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة حول مسائل وقواعد نحوية، تدخل فيه كل منهما في وضع القواعد النحوية.

فقد كان الكوفيون يتوسعون في رواية الأشعار وألفاظ اللغة الواردة عن العرب جميعا في البدو والحضر، كما كانوا يعتدون بجميع القراءات القرآنية متواترة وشاذة، واتسعوا في القياس فقاسوا على الناذر والشاذ وأنصاف الأبيات وقراءات الآحاد، "وهذا المنهج الكوفي في الاستشهاد بالقراءات جعلها أصلا من أصولهم منهج سليم من وجهة نظر كثير من العلماء لأنه يثري اللغة ويزيد من رصيدها ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام" (**الدجيني، 1974م، ص240**) بعكس البصريين الذين ضيقوا دائرة الأخذ عن القبائل العربية "فلم يقبلوا إلا ما جاء عن القبائل البدوية المغرقة في البداوة، ولم يقيسوا إلا على الكثير المطرد الجاري على ألسنة العرب الفصحاء، وكل ما جاء على لسان العرب القريبين رفض من قبلهم، أو حفظ ولم يقس عليه، وما كان مخالفا لقواعدهم أول حتى يعود إليها وإلا وصف بالشذوذ والغلط واللحن". (**ضيف شوقي، ص18–20**).

ويقول ابن حزم متعجبا من منطق البصريين في رفضهم الاستشهاد بالقراءات "من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يتفق عليه من كلام العرب حكما لفظيا ويتخذه مذهبا، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها" (**ابن حزم، 1345هـ، ج4 ص36**). ومن ذلك الخلاف حول جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف والجار والمجرور، فأجاز الكوفيون ذلك واستشهدوا عليه بقول الشاعر:

زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مزادة فَزَجْجْتُهَا بِمَزْجَّةِ

(إذ فصل فيه المضاف "زجَّ" والمضاف إليه "أبي مزادة" بالمفعول "القَلُوص" (**الطبري، ج8 ص88**).

ففي قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**﴾ [الأنعام:34] "ولقد قرأ ابن أبي عامر وهو أحد السبعة قوله تعالى: ﴿**وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قَتْلُ أولادَهُم شُرَكَائِهِم**﴾ بنصب أولادهم وجر شركائهم، ففصل بين المضاف "قتل" والمضاف إليه "شركائهم" بالمفعول "أولادهم" والتقدير قتلُ شركَائِهِم أولادَهُمْ".(**الزمخشري، الكشاف، ج2 ص70**)

واستنادا إلى ذلك وما قبله جوَّز الكوفيون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف، وقد منع البصريون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور "وحجتهم أن المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد ولا يجوز الفصل بينهما إلا بالظرف والجار والمجرور لأنهما يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما، ولهذا رفضوا ما استشهد به الكوفيون، واتجهوا إلى تأويله فعدوا أبيات الشعر قليلة مجهولة القائل، ولا يجوز الاحتجاج بها وإقامة قاعدة عليها" (**العشبي، 1999م،ص179**)

أما قراءة ابن أبي عامر التي جاء فيها الفصل بين المضاف والمضاف إليه في غير ضرورة الشعر، والقرآن لا يوجد فيه ضرورة.

يقول ابن خالويه: "وإذا كان انعقاد الإجماع على منع الفصل بينهما في حال الاختيار سقط الاحتجاج بها في حال الاضطرار، كما أنهم يرجعون ضعفها إلى وهم القارئ لأنها لو كانت صحيحة لكان ذلك من أفصح الكلام وذهبوا إلى كتابة "شركائهم" بالياء في مصاحف أهل الشام هو الذي دعا ابن أبي عامر إلى هذه القراءة واحتجوا بكون "شركائهم" مكتوبة بالواو في مصاحف أهل الحجاز والعراق" (**ابن خالويه 1997،ص 151**)..

رابعا: منهج أبي عبيدة في التفسير بالرأي:

1: مجاز القرآن لأبي عبيدة

ذكرت المصادر (**ابن نديم، 1988،ص 53**)"لأبي عبيدة" (**الأعلام، ج8، ص191**).
كتابا حول إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه ومجازه بأسماء متعددة منها مجاز القرآن، وغريب القرآن (**طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ص176**) ومعاني القرآن وإعراب القرآن (**ابن نديم، 1988 ص53**).

وقد أرجع محقق الكتاب محمد فؤاد سزكين أن هذه المسميات إنما هي لكتاب واحد عنوانه مجاز القرآن، واستدل على ذلك بأدلة منها: مادة الكتاب والنصوص من كتب الطبقات والاضطراب في اسم الكتاب الذي كتب على النسخ التي استعان بها في تحقيقه للكتاب (**أبو عبيدة ، 1954م، ص18**)

أما سبب تأليفه فقال صاحب معجم الأدباء: "قال أبو عبيدة أرسل إلى الفضل بن الربيع "(**وفيات الأعيان ،ج1 ص412**) في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسي ... ثم دخل عليَّ رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا الرجل وقرظه لفعله هذا وقال إني كنت إليك مشتاقًا وقد سألت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرفك إياها فقلت هات قال: قال الله عز وجل:

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات:65] وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

ومسْنُونةُ زُرْقُ كانيابِ أغْوالِ أيقْتُلُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعي

وهم لم يروا الغول قط، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وعزمت في ذلك أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وما يحتاج إليه من علمه فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته "المجاز" (**معجم الأدباء، ج 19، ص157**).

وفي هذا يقول مصطفى صاوي الجويني: "ومن ثم يفطن أبو عبيدة إلى أن الجهل بمذاهب العرب في التعبير باب من الشر ينفتح على تحريف المعنى، وإذن فهو يحيل السائل عن شعر للعرب، التصوير فيه من جنس التصوير القرآني" (**الصاوي الجويني، ص 69**).

كما لا يراد بكلمة المجاز ما يعنيه البلاغيون من وجوه المصطلح المعروف، "وإنما يقصد بها مناقشة القضايا اللغوية التي تتعلق بآيات الذكر الحكيم تلك القضايا التي تشمل المعاني والإعراب والتقدير والتأويل والتفسير" (**عيسى شحاته ، ص 31**)، وعلى هذا الأساس يرى أبو عبيدة أن في أسلوب القرآن مجازا وانتقالا على طريقة العرب في الانتقال، وهو الذي أشار إليه محمد فؤاد سزكين "أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته"(**أبو عبيدة 1954، ص18**).

وصاحب الكتاب صريح في أن العرب لم يكونوا في حاجة إلى مثل كتابه لفهم مجاز في القرآن" لأنهم أعرف بفنون القول في لغتهم، ومن ثم فإن القرآن الذي جاء على أصول هذه اللغة عربيا مبينا" (**عيسى شحاته, ص37**).

فالفكرة التي تراود أبا عبيدة وهو يؤلف كتابه كانت فكرة مدرسية يقول صاحب أثر القرآن في تطور النقد: "أن السائل أبي عبيدة من طبقة الكتاب المحدثين في الثقافة العربية، والذين تعلموا اللغة دراسة، ولم

يلقونها على ألسنة أصحابها، وكل متعلم على هذه الطريقة المدرسية يهمه أن تجري الأمور على القواعد المدروسة حتى إذا رأى خرقًا ظاهرًا، أو شاذًا عن القاعدة تساءل" (**محمد زغلول 43**)

2–تحليل الكتاب: وقف أبو عبيدة أمام آيات القرآن الكريم ليبين ما ذكره في المقدمة من أن كتاب الله به ما في كلام العرب من المعاني والغريب والإعراب.

يقدم أبو عبيدة لكتابه بمقدمة في بحوث لغوية عامة في القرآن يبحث كلمة "القرآن" وله رأي خاص في اشتقاق هذه الكلمة ينقله عنه المتأخرون، وهو قوله: "إنما سمي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك آية في القرآن قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:53] و"يستشهد عليه من كلام العرب" (**أبو عبيدة،1954 ج1 ص 8**)

ثم يتطرق إلى الخطاب القرآني وما يتضمنه من فنون الكلام وفيه تحدث عن ظواهر لغوية عامة كالاختصار والحذف وحذف جواب الشرط، والتعبير بلفظ واحد عن الجمع... الخ منبها إلى أن القرآن يشابه في نظمه كلام العرب فيقول: "وفي القرآن مثل ما في كلام العرب من وجوه الإعراب والمعاني" (**أبو عبيدة، ،1954 ج1 ص 8**)ويذكر تلك الوجوه مع أمثلة لها ويتعرض لها بالتفصيل في الكتاب وسنشير إلى بعض الجوانب منها.

وبعد أن ينتهي من تلك المقدمة العامة التي رسم فيها منهجه ووضع فكرته التي دار عليها الكتاب، ثم خط الخطوط الأولى التي تجري عليها كلمة المجاز، بعد هذا كله يبدأ بتناول السور والآيات تناولاُ تنازليًا يبدأ بسورة الفاتحة، ويتبع في تفسيره نظاماُ معيناُ لا يكاد يحيد عنه وهو كالتالي:

*–يبدأ شرح الآية بآية أخرى ما أمكن.

*– يتبعها بحديث في نفس المعنى.

*– ثم يتبعها بالشاهد الشعري القديم، أو بكلام العرب الفصيح، كالخطب والأمثال والأقوال المأثورة.

أما ترتيب السور والآيات:

ذكر محقق الكتاب المجاز محمد فؤاد سزكين أن الأصل الذي حقق منه الكتاب كان به اضطراب في ترتيب الآيات، وأنه نقل الآية أو الآيات إلى موضعها من ترتيب المصحف"(**أبو عبيدة ،1954 ج1 ص 126**).

ذكر أبو عبيدة في مقدمة كتابه أسماء لبعض سور القرآن الكريم وعلل لهذه التسميات، ومن أمثلة ذلك ما قاله في سورة الفاتحة تسمى أم الكتاب لأنه يبدأ بها في أول القرآن، وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السور، ولها اسم آخر يقال لها فاتحة الكتاب لأنه يُفتتح بها في المصاحف وتكتب قبل القرآن"(**أبو عبيدة،1954 ج1،ص7**).

كما تحدث عن اسم جامع يطلق على مجموعة من السور التي يبلغ عددها المئة وهو (المئون)، كما ذكر أن سورتي (الكافرون) و(الصمد) تسميان المقشقشتان وعلل لذلك بأنهما يبرئان من الكفر والشك والنفاق، وأطلق اسم (السبع الطُّول) على سبع سور من سورة البقرة حتى سورة الأنفال وذكر شعرًا يتضمن التسميات والتعليلات السابق ذكرها" (**أبو عبيدة،1954 ج1 ص7**).

"وهو أثناء دراسته لآيات الذكر الحكيم يذكر السورة باسمها في المصحف أو باسم أول كلمة منها، أول باسم آية منها فسورة القلم (ن) وسورة المسد (تبت)، وسورة الشورى (عسق)، وسورة المعراج (سأل سائل)" (**أبو عبيدة، 1954 ج1 ص126**).

فمن خلال هذه الدراسة الإبداعية يريد صاحب المجاز أن يبين لنا حركة الانتقال للمعنى القريب أو التركيب المعهود للألفاظ إلى معانٍ اقتضاها الكلام.

وأن القرآن نمط من التعبير العربي وفصَّل القول في مذاهب العرب التعبيرية وكيف جرى البيان القرآني وفقها، فيعرض للقرآن بنصه آية ويتكلم عن المجاز فيتناوله تناولاً شاملاً واسعًا يضم الفنون التي ذكرها في

المقدمة بل يتجاوزها أحيانًا فيجعل مدلولها أوسع، مما يراه موضحًا معنى الكلمة أو بيان الدلالة في التركيب أو الإعراب.

وذكر محمد زغلول سلام تقسمين لمعنى الكلمة عند أبي عبيدة قال:

* أن يكون تحولاً في مدلول الكلمة تحولا لغويًا.

* ويتحول المعنى تحولاً بلاغيًا"(**محمد زغلول سلام، ص44**).

وأبو عبيدة لم يقف عند بيان معنى الكلمة، بل تطرق كذلك إلى قضايا الصوتية والصرفية والمعجمية.

أ- قد يكون التحول في مدلول الكلمة تحولا لغويا:

- قد يتحول المعنى من مدلول صيغة إلى مدلول صيغة أخرى من المصادر إلى الصفات مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [البقرة:61] فالعرب تجعل المصادر صفات، فمجاز البرّ ها هنا: مجاز صفة ل "من آمن بالله".

وفي الكلام: ولكن البارَّ من آمن بالله"(**أبو عبيدة،1954 ج1 ص65**).

- قد يتحول مدلول الفاعل إلى المفعول أو العكس مثل قوله تعالى: ﴿**مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ**﴾ [القصص:76] والعصبة هي التي تنوء بالمفاتح"(**أبو عبيدة،1954 ج1 ص64**).

ومن مجازه ما يقع المفعول إلى الفاعل قال تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ**﴾ [البقرة:177] والمعنى على الشاة المنعوق بها وحوّل على الراعي الذي ينعق بالشاة"(**أبو عبيدة،1954 ج1 ص63**)، تقول: كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها راعيها والعرب تريد الشيء فتحوله إلى شيء من سببه، يقولن: أعرض الحوض على الناقة وإنما تعرض الناقة على الحوض.

– قال تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ [الأنبياء:37] يقول مجازُه مجازُ خَلْقِ العَجَلِ من الإنسان، وهو العجلةُ والعرب تفعل هذا"(**زغلول سلام، ص44**).

– ومنه أيضا تحول مدلول الأدوات والحروف، يقول: ومجاز الأدوات اللواتي لهن في مواضع شتى، فتجيء الأداة تتفق في بعض تلك المعاني.

قال تعالى: ﴿**أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾[البقرة:26] ومعناها فما دونها"(**أبو عبيدة،1954 ج1 ص43**).

وقال تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾[النازعات:30] معناها مع ذلك" (**محمد زغلول سلام، ص45**).

وقال عز وجل: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾[طه:71] ومعناها على جذوع النخل".(**مصطفى الجويني، ص 75**)

ب– التغير في الصيغة: بزيادة في الحروف كأن يكون مدلول مَطَرَ غير مدلول أمْطَرَ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء**﴾ [الأنفال:32] مجازه أن كل شيء من العذاب فهو أمطرت بالألف وإن كان من الرحمة فهو مطرت".(**زغلول سلام، ص45**).

ج– التغير في مدلول الاستفهام: في قوله عز وجل: ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**﴾ [البقرة:30] جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربها وقد قال تعالى: ﴿**إني جاعل**﴾ ولكن معناها الإيجاب أي أنك ستفعل، وقال جرير فأوجب ولم يستفهم

وأندى العالمين بُطُون رَاحِ ألستم خير من ركب المطايا

وتقول أنت تضرب الغلام على الذنب: ألست الفاعل كذا، ليس بالاستفهام ولكن تقرير"(**أبو عبيدة،1954 ج1 ص44**).

د- الانقلاب في مدلول إلى الضد: فقد ينقلب معنى وراء إلى قدام في قوله تعالى: ﴿**مِن وَرَائِهِمْ**﴾ [الجاثية:10] مجازه قدامه وأمامه يقال إن الموت من ورائك أي قدامك، قال:

كذبت لتَقصرنَّ يداك دوني أتواعدني وَرَاءَ بني رياح

أي قدام بني رياح"(**زغلول سلام، أثر القرآن، ص 45**)

ج- ويتحول المعنى تحولاً بلاغيًا.

على سبيل الإيضاح أو التأنق في التعبير والتفنن في القول فتجرى كلمة مجاز على مجموعة من المعاني اصطلح البلاغيون من بعد على إدراجها تحت تعريفات خاصة.

*- **التقديم والتأخير**: يذكره أبو عبيدة في المقدمة فيقول ومن مجاز المقدم والمؤخر قال عز وجل: ﴿ **فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ [الحج:5] أراد ربَتْ واهتزَّت، وقال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ **لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾[النور:40] أي لم يراها ولم يكد، وقال تعالى: ﴿**بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾[الأنعام:150] مجازه يعدلون بربهم أي يجعلون له عدلاً وقال المولى سبحانه وتعالى: ﴿**أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾[السجدة:7] مجازه أحسن خَلْقَ كلَّ شيء، والعرب تفعل هذا، يقولون فيقدمون ويؤخرون" (**زغلول سلام، أثر القرآن، ص 46**).

يوم ألتقينا على أدحالِ دبَّاب كأن هندَا ثناياها وبهجتها

*- **التشبيه**: وأول ما تر هذه الكلمة على لسان أبي عبيدة في كتاب المجاز عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة:223] كناية وتشبيه"(**أبو عبيدة،1954 ج1 ص68**).

*- **التمثيل**: وهو يعني عنده هنا التشبيه أو تشبيه التمثيل قال في تفسير قوله تعالى: "**على شفا جرف هار**" مجاز هائر ومجاز الآية: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾[التوبة:109] مجاز تمثيل لأن ما بناه على التقوى

أثبت أساسا من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق، وهو شفا جرف وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه"(**محمد زغلول سلام، أثر القرآن، ص 46**).

الخاتمة:

لقد أثبت البحث أن التفسير بالرأي الفني المقنن بدأ مع ظهور التعليل والقياس على أيدي النحاة فهذا جانب آخر في التطور الدلالي للألفاظ و تظافر مع ذلك الجدل بين النحويين داخل مجالس الدروس التي يقيمونها لتدريس العلوم اللغوية نحوا وصرفا ويضاف إلى ذلك الخلاف بين مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين بالإضافة إلى الخلاف بين علماء المدرسة الواحدة الذي يرى كل منهم رأيا قد يكون موافقا رأي المدرسة التي تخالف مدرسته وبالطبع فإن القاعدة النحوي تتدخل في كثير من الأحيان في توجيه المعنى في القرآن الكريم.

لأن المفسر النحوي عندما يوجه الآية القرآنية وفقا للقاعدة النحوية فهو يفرز المعنى،كما تعرضت في البحث إلى مناهج التفسير عند بعض اللغويين مبينا تطور المعنى الدلالي للخطاب القرآني ومما وقفت عليهم أبو عبيدة من خلال كتابه "مجاز القرآن".

وأثبت البحث مناقشة أبو عبيدة للقضايا اللغوية التي تتعلق بآيات الذكر الحكيم والتي تشمل المعاني والإعراب والتقدير والتأويل والتفسير.

ويرى أن في أسلوب القرآن مجازا وانتقالا على طريقة العرب في الانتقال وأن الجهل بمذاهب العرب في التعبير باب في الشر ينفتح على تحريف المعنى.

ومما لا شك فيه أبا عبيدة قد فتح منافذ على البحث القرآني منها ما يتصل بطريقة التعبير ومنها ما يتصل بغريب لفظة المفرد ومنها ما يتصل بالبحث اللغوي الخالص كظاهرة الأضداد في اللغة العربية.

فقد حرص أبو عبيدة في مجازه على أن يبين الفظة المتضادة لما لها من أثر في المعنى، باعتبار أن المسألة في أصلها أسلوبية فاللفظ المتضاد ينظر إليه من ناحية الإلف اللغوي أو الاستعمال الأسلوبي عند العرب ونقصد ببساطة أن لفظة ما قد تكون في موطن ما ذات دلالة معنوية متفق عليها وشائع استعمالها بينما هي ذاتها في موطن آخر لها دلالة وشيوع غير الذي قررنا لها في موطن مغاير وينبني على هذا بعدئذ المعنى فالمسألة كما هو ظاهر أسلوبية في الأساس.

كما أن أبا عبيدة كان شديد البرهنة على خلص عربية اللفظ القرآني ودفع كل شبهة عن عربية الكتاب، أما من ناحية التراكيب أي المذهب القرآني على النمط عينه الذي كان العرب في أسلوبهم.

مراجع البحث:

1_بشيرة العشيبي، أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم،منشورات قان يونس ،بن غازي ليبيا،ط،1 1999م

2_ الجمحي" محمد بن سلام" ت231هـ تحقيق محمود محمد شاكر،دار المدني،جدة،1400هـ 1980م

3_ ابن جني، المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها ،وزارة الأوقاف ، 1999م ، الرياض.

4_ ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة السعادة، القاهرة، 1345هند.

5_ ابن خالويه "الحسن بن أحمد بن خالوية بن حمدان ت 370هـ" ، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم ،ط3 ،1399هـ 1979ص، دار الشروق

6_الزمخشري ت538هـ ، تفسير الكشاف،مطبعة دار الكتاب العربي،،بيروت لبنان.

7_ سيبويه- أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجبل بيروت لبنان، ط1، 1411هـ -1991م،

8_ الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تح عبد الله بن محسن التركي ،دط ،دار الهجر للطباعة والنشر .

9_ أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، محمد سامي أمين الخانجي، مصر ط1، 1374هـ – 1954م

10- عيسى شحاته عيسى علي، الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة.

11 - فتحي عبد الفتاح الدجيني، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي،ط1 ، دار ن والقلم ،بيروت، دار المطبوعات ،الكويت 1974م

12_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،دار الكتاب لطباعة والنشر القاهرة،ط 1387هـ 1967م

13_ قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية دراسة دلالية، رسالة دكتوراه دولة، قسم اللغة، كلية الآداب، جامعة السانيا، 2000-2001م

14_ محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أخر القرن الرابع الهجري ،تقديم محمد حسن خلف الله، ط1 ،مكتبة ،الشمال، الجيزة، مصر

15_ ابن النديم(محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق بن أبي يعقوبالنديم) ، الفهرست،تحقيق مصطفى الشويمي،دار التونسية للنشر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،ط1405هـ 1988م .